اللمحات الرافعات للتدهيش عن معاني صلاة ابن مشيش

تأليف

شيخ الإسلام سيدي مصطفى البكري

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصلاة والتسليم على حبيبه السيد الحبيب العظيم بابًا موصلاً إلى دخول دار النعيم لا يغلق أبدًا، ولا يمنع من ولج فيه شرب التسنيم، ومرشدًا كاملاً يسير بالمقتفى السبيل القويم ويهديه إلى الصراط المستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا قرن اسم الحبيب باسمه الكريم، وصلى عليه بذاته كما أخبر في كلامه القديم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المخاطب بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، نبي من صلى عليه مرة صلى الله بها عليه عشرًا، فيا له من فضل جسيم، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أولي التمجيد والتكريم، وعلى التابعين لهم بإحسان ما صلى عليه محب بذكره يهيم.

وبعد .. فيقول الفقير الحقير إلى عفو ربه الرحيم مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي منحه الله البر العميم وأطلق الله سمعه وبصره ليبصر الملاح الروحانيين ويسمع صوتهم الرخيم: أيقظني الحق سبحانه وتعالى ليلة الثلاثاء السابع من ذي القعدة الحرام سنة ألف ومائة وسبعة وثلاثين أحسن الله منها الختام، فكانت ساعة مباركة ثغر صباح تحليها بالبسط بسام، فوقع سرح صلوات الكامل المقدام:

سيدي عبد السلام في يدي، وهو الشرح الذي جاد به الحق على عبده ذي الفقر التام، المسمى بـ «الروضات العرشية في الكلام على الصلوات المشيشية» وكنت قد شرحتها وأنا في الديار الإسلامبولية – حماها الله من كل بلية – شرحًا وسطًا سميته: «**كروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني**»، ثم شرحتها شرحًا آخر سميته: «**فيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام**»، فلما نظرت فيه ولاحت بعض خوافيه بدت لي معان في الصلوات لم تكن لاحت في الشروح السالفة، وعبارات بحمي الغيب مدخرة وله آلفة، فأخذت قلت التسطير ونظرت لوارد التقدير، وركبت سفينة التحرير بعدما فتحت قلوع الضراعة للخبير العليم، وقلت: ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [هود: ٤١]، فأتتمت ما يأتي من الكتابة عليها مع بعض زوائد في نحو ساعة أو أكثر والقلب أواه، وقلت: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وسميته: «**اللمحات الرافعات للتدهيش عن معاني صلوات ابن مشيش**». فأول ما جرى به قلم البيان فتحرك لرسم البنان:

[اللَّهُمَ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وانْفَلَقَتِ الأَنوارُ وَفِيهِ ارْتَقَتْ الْحَقَائِقُ وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الْخَلَائِقَ وَلَهُ تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ وَحِيَاضُ الجَبَرُوتِ بفيض أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ وَلَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ إِذْ لَوْلَا الوَاسِطَةُ لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ].

قوله (اللَّهُمَ)(١) أي: يا الله (صَلِّ) أي: أثن أو شرف أو كرم(٢) (عَلَى مَنْ) أي: الذي

---

(١) قال المصنف: ومعنى (اللهم): يا الله، حذف منه حرف النِّداء وعوض عنه الميم للتعظيم، هذا مذهب البصريين. وقال الكوفيون: أصله يا الله، أُمَّ بخير، فكثر استعماله، فحذفت الهمزة تخفيفًا، وتركت الميم مفتوحة، وبصفة الضمة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد، وذهب حرفان فعوض عنهما بحرفين، ولا يقال: يا اللهم؛ لئلا يجمع بين البدل والمبدل منه، وسمع في الشعر، وأنكره الزَّجَّاج. وقد اختلف في الاسم الأعظم على أقوال كثيرة، فقال بعضهم: إنه اللهم.

(٢) قال: أي أثن أو شرِّف أو كرِّم أو عظِّم، أو اجعل رحمتك المقرونة بتعظيمك.

وقد اختلف في معناها، فقيل: الرحمة والرضوان من الله، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدُّعاء(٢).

وقيل: صلاته مغفرته. وقيل: رحمته المقرونة بالتعظيم. وقيل: تشريفه وتكرمه على أنبيائه، ورحمته على مَنْ دونهم. قال في «القاموس»: والصلاة الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وحسن الثناء من الله ﷻ على رسول الله ﷺ، وعبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر، يقال: صلَّى صلاةً، لا تصلية انتهى. قال القهستاني في شرح «الكيدانية»: الصلاة بألف مُبدلة عن واو لفظًا وفي الكتابة ترسم بـ(الواو)، إلا إذا أضيفت أوثنيت، فتكتب: صلاتك أو صلاتان بالألف. وقال ابن دستويه: لم تثبت الواو في غير القرآن، وهي اسم من التصلية أي: الثناء الكامل، ولما لم يكن في وسعنا أمرنا أن نكل ذلك إليه تعالى انتهى. وقال اللَّقاني -رحمه الله تعالى- في «شرح الجوهرة الصغير»: ولا يخفى أن أمره سبحانه وتعالى إيانا بالصلاة والسلام عليه ﷺ، إمَّا للتعبد أو ليكون ذلك على طريق الشكر منا والمكافأة له ﷺ بما هو في الوسع، أو لطلب كمالٍ في سعة كرم الله سبحانه وتعالى، علق حصوله له على ذلك الطلب منّا أو لإظهار فضله ﷺ ومحبته، واحترامه، وتعظيمه الواجبة علينا، والظاهر أن ذلك من الخيرات الواصلة إلينا بسببه ﷺ حال حياته وبعد وفاته؛ إذ منفعتها عائدة على الـمُصليِّ؛ لأنه داعٍ ومكمّل لنفسه؛ لأنه إذا صلى أحدنا عليه صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشرًا، كما جاء به الخبر، انتهى.

وهل الصلاة عليه ﷺ مقبولة غير مردودة؟ أمَّا في حقه ﷺ فنعم، وأمَّا في حقِّ غيره فالصحيح أنها كغيرها من العبادات قَبولاً ورَدًّا، وكَرِهَ بعضهم إفراد الصلاة عن السلام لفظًا وكتابةً. وقيل: هو خلاف الأولى. وقيل: إذا صلَّى وسلَّم لفظًا فلا يضرُّ الإفراد كتابةً، وهو الأصح. وقيل: لا بأس به مطلقًا. وأمَّا فضائلها فكثيرة جدًّا، منها أنها تغني عن الشيخ في مقام التنوير لا في الوصول إلى درجة الولاية، ومنها أنها تذهب حرارة الطباع، وتقوي النفوس بخلاف غيرها، والكلام على الصلاة طويل، فلنكتف بهذا القليل.

(مِنْهُ) والضمير يرجع فيه إلى رسول الله ﷺ بقرينة المقام، أي: من سره الأعظم وبدر كماله الأفخم (انْشَقَّتِ)[1] أي: انفتحت غيوب سموات المعارف فانفتحت (الأَسْرَارُ وانْفَلَقَتِ) صخرة بحر العوارف فبهرت (الأَنْوارُ، وَفِيهِ) ﷺ أي: في حوز دائرة إحاطته الجامعة لكل شيء والممدة لكل شيء بحسب ما تعطيه حقائق ذلك الشيء مما قدر له في الأزل وقسم له في حضرة الغيب الذي لم يزل (ارْتَقَتْ) أي: علت ونمت (الْحَقَائِقُ) فوقفت عند حدودها ووفقت لدوام شهودها، وعلمت له الأمر على ما هو عليه، ولم تزل ترتقي إلى ما لا نهاية له ولا غاية لديه، وكان هو المرقي لها في عظيم تلك المراقي، والمغذي لها بغذاء الإمداد والساقي، فهو البحر الذي سارت به فلك سائر الموجودات، وأقلعت وأرست فيه سفن الموهومات والمشهودات والمعقولات، (وَتَنَزَّلَتْ) منه إليه أو به عليه (عُلُومُ آدَمَ) الأسمائية (فَأَعْجَزَ الْخَلَائِقَ) فهم تلك الأسرار الربانية، فكيف لو أبرز علومه الذاتية التي قد خصه بها عالم الجهر والخفية فعلوم آدم -عليه الصلاة والسلام- من حضرة: «قاب قوسين» و علومه ﷺ من حضرة «أو أدنى» المختص بها دون غيره، (وَلَهُ تَضَاءَلَتِ) أي: تصاغرت (الْفُهُومُ) العرشية وتقاصرت عن العروج إلى سدته العلية العلوم الفرشية (فَلَمْ يُدْرِكْهُ) على التحقيق الآثم والتدقيق الأعم الذي للشكوك ماح وماحق (مِنَّا) معشر الكائنات (سَابِقٌ) في الرتبة أو الوجود (وَلَا لَاحِقٌ) فيها، (فَرِيَاضُ) جمع «روضة» (الْمَلَكُوتِ) مشتق من «الملك» كـ «الرهبوت» من «الرهبة» وهو عبارة عن عالم الغيب المختص بالنفوس والأرواح في الاصطلاح (بِزَهْرِ) نور بديع (جَمَالِهِ) الفائق (مُونِقَةٌ) أي: مبتهجة، (وَحِيَاضُ) جمع «حوض» (الْجَبَرُوتِ) مشتق من «الجبر»، وهو القهر، وهو غير مهموز باتفاق، ويصح أن يكون من «جبرت الفقير» أغنيته (بفيض) أي: بسبب فيض (أَنْوَارِهِ) المحمدية (مُتَدَفِّقَةٌ) أي: متصببة، والفيض في اللغة يطلق على نيل مصر ونيل البصرة، وكأن الأنوار المحمدية لما كان مددها طام وإسعافها وإسعادها عام ويأتي غالبًا بلطف ولين على قدر معلوم وقياس مكين سمي «فيضًا» ولو جاء الفيض النيلي أو النيلي بضد ذلك لضاقت به المسالك وهلك المسالك، فالعطا بقدر

(١) أي: انفتق رتق جيوبها، وانرتق فتق غيوبها أو انفصل موصول حجابها واتصل مفصول لبابها، أو انفتح بابها المغلق، واتضح خفي سرّها المعلق.

ما يريح أو يزيح الغطا فهو العطا، فإن الشيء إن تجاوز عن رسمه وحده وصف بضده .. وهو ﷺ على حدِّ ما قال صاحب الوتريات:

جـــواد إذا أعطـــاك أغنـــاك جـــوده بحـــار النـــدى في كفـــه تتمـــوج

(وَلَا بِهِ) نافية للجنس (شَيْءَ) اسمها (إِلَّا) أداة حصر (وَهُوَ) أي: الشيء به ﷺ (مَنُوطٌ) به متعلق؛ (إِذْ) تعليل (لَوْلَا الوَاسِطَةُ) العظمى ونوابه في الوساطة للمقر الأعز الأحمى (لَذَهَبَ) أي فنى وانعدم (كَمَا قِيلَ) أي: كما قاله بعض الأكابر ذوي القدم من القدم (المَوْسُوطُ) أي: المستند إلى الوساطة؛ فإن الأسباب والوسائط لا تنكر، ومن أنكرها فلجهله أنكر؛ حيث لم يتعرف بعروفها بل تنكر.

[صَلَاةٌ تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ الدَالُّ عَلَيْكَ وَحِجَابُكَ الأَعْظَمُ القَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ].

(صَلَاةً) منصوب بـ(صل) (تَلِيقُ) أي: تصلح أن يعلق المادح غايتها لكمالها (بِكَ) أي: بعلي صفاتك أن تهدي تلك الصلاة الكاملة (مِنْكَ) أي: من حضرة قربك الخاص (إِلَيْهِ) أي: إلى ذاته الشريفة المقدسة التي في بحر النور الكمالي الآلي منغمسة (كَمَا) للتشبيه أو التعليل، و (ما) مصدرية أو موصولة (هُوَ) ﷺ (أَهْلُهُ) أي مستحق له.

(اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ) لكل سر محيط بالأسرار جامع؛ إذ هو ﷺ خطيب ذلك المنبر وإمام ذلك الجامع فلذا كان على الحقيقة هو لا غيره (الدَالُّ عَلَيْكَ) والموصل من سبقت له منك العناية ولحظته عيون الهداية والرعاية إليك، فكل دليل سواه فإنه يرشد ويهدي لكن من وجه، لا من كل من وجه معروف يسدي، بخلاف هذا السيد المالك؛ فإنه كذلك لجمعيته لكل ما هنالك مما يحتاجه السالك في جميع المسالك، (وَحِجَابُكَ) أي: الستر الحاجز من وصول المهالك (الأَعْظَمُ) أي: أعظم الحجب المانعة من العبور في مهامه المخاوف التي ظلامها حالك، وهو الحجاب الأعظم الذي يحجب من رام الدخول من غير بابه، ويطرد من أمل أن يستقي من لبابه بغير كاس اقترابه.

وقد أشار سيدي محمد البكري – رحمه الله تعالى – بقوله:

وَأنـــتَ بـــابُ اللهِ أيُّ امـــرِئٍ أتَـــاهُ مِـــنْ غَـــيرِكَ لاَ يَـــدْخُلُ

وهو الحجاب الأعظم المانع للنار يوم الهول الأكبر إن تهجم؛ إذ تنطلق وتزفر على أهل المحشر، والحاجز الأكبر من الوقوع في الضلال، والآخذ بيد أمته في سائر المواقف ذات الأهوال، ولما وصفه بأنه الحجاب الأعظم الذي لا أرقى منه ولا أعلى ولا أفخم علمنا أن مقامه الرفيع هو سدرة منتهى المقامات، فلا تقدر العقول العرشية أن تتصوره في حال من الحالات؛ إذ هو السماء التي ما طاولتها سما، وكل من سما فبسموه سما، ورحم الله البوصيري وقدس سره الذي نما، حيث قال وأبدع في المقال:

كيـــفَ تَرقـــى رُقِيَّـــكَ الأنبيـــاءُ ... يـــا ســـماءً مـــا طاوَلَتهـــا سَـــماءُ

لَمْ يُـــساوُوك في عُـــلاكَ وَقَـــدْ حـــا ... لَ ســـناً مِنـــك دونَهـــم وسَـــناءُ

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: كونه الحجاب الأعظم وجعله وصفًا مبينًا لمقام الأقدم، (القَائِمُ) على الدوام قيامًا كليًا لا يماثله قيام (لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ) وفاء بحق العبودية، وإقبالاً كاملاً منه عليك بكمال الجمعية، وإذا كان دائم القيام في حضرة القيوم حجب كل من عداه عن التقدم للارتقاء المحقق المعلوم.

[اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْنِي بِحَسَبِهِ وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَسْلَمُ بِهَا مَوَارِدِ الجَهْلِ وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ وَاقْذِفْ بِي عَلَى البَاطِلِ فَأَدْمَغَهُ وَزُجَّ بِي بِحَارِ الأَحَدِيَّة وَانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الوَحْدةِ حَتَى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعَ وَلَا أَجِدَ وَلَا أَحِسَّ إِلَّا بِهَا وَاجْعَل الحِجَابَ الأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوْحِي وَرَوْحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي بِتَحْقِيقِ الحَقِّ الأَوَّلِ].

(اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي) إلحاقًا تامًا ظاهرًا وباطنًا (بِنَسَبِهِ) الديني والطيني[1]، (وَحَقِّقْنِي) تحقيق عامًا (بِحَسَبِهِ) العيني والغيني، (وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ) بمشاهدة محياه وشرب حمياه (مَعْرِفَةً) مفعول مطلق، خاصة أمتاز بها عن أقراني، واجتاز بمددها السبحاني الرباني، و (أَسْلَمُ) أي: أنجو (بِهَا) أي: بتلك المعرفة الخاصة (من مَوَارِدِ الجَهْلِ) جمع «مورد» وهو مورد الورود والجهل ضد العلم، فلا أتوه من ذلك التيه الذي من جملة ما يدعو إليه العجب والتيه، (وَأَكْرَعُ) أي:

(١) قال ابن عجيبة ﷺ: وأراد دوامه على متابعته ﷺ، وإلا فلا ينفع النسب مع عدم الأدب (ص١٦٤).

أتناول بفمي[١] (بِهَا) أي: بسبب تلك المعرفة (مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ) والفضل هو الخير، وإنما قابل الجهل بالفضل دون مقابلة لأنه أعم، (وَاحْمِلْنِي) أي: اجعلني محمولاً (عَلَى) متن (سَبِيلِهِ) لأكون ممن يسير به لا ممن سار؛ فإن الأول معان، والثاني متعرض للأخطار، موصلاً ذلك الحمل (إِلَى حَضْرَتِكَ) الرفيعة المنار (حَمْلاً) مفعول مطلق (مَحْفُوفًا) أي: محوطًا مطوقًا (بِنُصْرَتِكَ) أي: بمعونتك، لئلا تصل إلى يد القواطع والموانع، ولأصرف بها كل صارف يروم صرفي عنك بمعرفة ما للصرف من الموانع، (وَاقْذِفْ) أي: ارم (بِي عَلَى البَاطِلِ) الذي هو ضد الحق (فَأَدْمَغَهُ) أي: فامحقه بنور حقية تذهب ظلمة باطلية، تبدو من فيض حضرة اسمك «الحق» فأكون مظهرًا للحق، فلا يقابلني باطل إلا زهق وانعدم واندرس واهي بنيانه وانهدم، فأمسى بفضلك نورًا محضًا وزبد علوم أبرزتها يد العناية فلم تحتج مخضًا، (وَزُجَّ بِي) أي: ادفعني برفق (فِي بِحَارِ) جمع «البحر»: مشاهد (الأَحَدِيَّةِ) وهي عبارة عن تجل ذاتي ليس للأسماء والصفات فيه ظهور ولا شيء من مؤثراتها، والأحدية منسوبة إلى «الأحد»، وهذا الاسم ذاتي وصفته الأحدية، وكل من تجلى عليه الحق سبحانه وتعالى بهذا استغرقه في عين الجمع المعبر عنه بتجريد التوحيد واستهلكه في بحار التفريد، فعاد حرفًا ممحوًا مطموسًا، وسرًا خفيًا لا مجهورًا به بل مهموسًا، وهذا حال أهل الوصال، وكل من حبي به فليلته ليلة القدر، ويومه يوم جمعة إلى آخر الدهر، كما أن من تجلى عليه الأحد وأفرده له عن كل أحد عادت لياليه يقال فيها «ليلة الأحد»، وكل من اجتمع بمحبوبه وفاز بوصل مرغوبه ومطلوبه قيل في سائر أيامه «يوم الجمعة»، لأن المنى عليه فيه قد جمعه.

وأشار لهذا سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره:

وكُلّ اللَّيالي ليلةُ القَدْرِ إنْ دَنَتْ ... كما كلّ أيّامِ اللّقا يومُ جُمعةِ[٢]

(وَانْشُلْنِي) بيد عناية قدسية ورعاية أنسية (مِنْ أَوْحَالِ) جمع «وحل»، وهو الطين الرقيق، والمراد به الشبهات العارضة للسائر في سلوك مفاوز (التَّوْحِيدِ) الخاص بالأخيار لأسلك ذلك الطريق بدوت تعويق، (وَأَغْرِقْنِي) فضلاً منك وجودًا؛ كي لا أرى لي اسمًا ولا

---

(١) قال ابن عجيبة ﷺ: من غير واسطة، فالكرع هو الشرب من الفم، بفعل المتعطش اللهفان.

(٢) البيت في ديوانه (٣٥٥).

وجودًا، (فِي عَيْنِ) أي: حقيقة (بَحْرِ الوَحْدةِ) العلية؛ لأفني عن ملاحظة السوى وعني بالكلية (حَتَى) إلى أن (لَا أَرَى) بعين بصري وبصيرتي (وَلَا أَسْمَعَ) بسمع علانيتي وسريرتي (وَلَا أَجِدَ) ووجدًا ووجدانًا (وَلَا أَحِسَّ) كشفًا ظاهرًا وإيقانًا (إِلَّا بِهَا) أي: بالوحدة، فأحظى بقربي الفرائض والنوافل، وارتقى بموارد التجلي الأعلى عن كل وصف سافل، (وَاجْعَل) بالجعل التخصيصي (الحِجَابَ الأَعْظَمَ) الذي وصفه تقدم (حَيَاةَ رُوْحِي) فأدرك ذلك بمدك السبوحي، واركب سفينة النجاة بذلك المشهد النوحي، وأقول لنفسي: إن لم تدركي ذلك فسحى الدموع ونوحي، فإن هذا المذاق الشهودي الأحلى يفوق الذات التي ضياؤها يوصف بالأجلي وإلى هذه الخمرة المعنوية الصرفة الحلال يشير من انتسم بأشرف الخِلال بقوله:

عـلى نفـسه فليَبْـكِ مَـن ضـاع عُمْـرُهُ ... ولـيسَ لـهُ فيهـا نَـصيبٌ ولا سـهمُ[1]

(وَرَوْحَهُ) أي: واجعل روحه المحمدية الممددة لسائر الأرواح مشهودة لي بأمناح (سِرَّ حَقِيقَتِي) وباطن رقيقتي فتقوى على حمل الموارد، ويخف عليها حمل كل سر شارد، وتسطع أنوارها علي، وتلمع بوارق أسرارها لدي، وأعاينها في مركزها الأصلي العرشي، وأغترف منها في تنزلها الفرشي، وترفع بيني وبينها الغواشي بهذا الجعل التأييدي، وتطلع أضواء شمسها الباهرة في المنزل الوريدي، فأعرف بهذا الإمداد ذاتي وأفوز بوافر لذاتي، ويستقر قدم صدق عبوديتي في مقعد العندية، وأتنعم في ذلك المشهد بالاتصاف بالأوصاف العبدية، فإن روحه المحمدية هي الممدة لسائر الحقائق على قدر استعداد كل واحد من الخلائق، غير أن ثم من يجهل ذلك وقد سار في الظلام الحالك، وآخر يدركه علمًا وهذا سالك، وآخر يدركه كشفًا وهذا مالك، وآخر يدركه بذوق علي، وآخر بما هو أعلى منه، إلى ما لا يتناهى من المسالك والأذواق الرفيعة التي كم هلك فيها لذة هالك مما لم يخطر على بال الكمال فكيف يبال بال كبالي وبالك؟!

(وَ) اجعل (حَقِيقَتَهُ) المحمدية التي هي حقيقة الحقائق وينبوع الرقائق ومجموع الدقائق (جَامِعَ عَوَالِمِي) الظاهرة والباطنة، لتسمد منه كل ذرة من ذرات وحودي، فيسمو

(١) البيت في ديوانه (٤١).

بهذا الاستمداد شهودي[1]، واعرف نفسي فأعرف مقصودي، وأطلق من حبسي وأفك من قيودي، إذ حقيقته ﷺ دائرتها جمعت الأواخر والأوائل، وأحاطت بكل محاط مددًا وإسعادًا بغير حاجب مانع وحائل، وأمدت كل شخص بما تقتضيه حقائقه وعوالمه، فشقي من شقى وسعد الذي لجنابه مستند ومائل، فكل من أرشد ودعا فعن وساطته وعن فيضه متكلم وقائل، (بِتَحْقِيقِ) أي: أقسم عليك وأتوسل لدك في إجابة دعائي وقبول طلب رجائي بسر تحقيق (الحَقِّ الأَوَّلِ) الذي هو القلم الأعلى والدرة البيضا والعقل الأول والنور والمقدم الذي عليه المعول، المخاطب بـ «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك»، أو المعنى: أقسم عليك بثبوت الحق موصوف بالأولية التي ليس لها ابتداء ولا آخرية، التي لا تنعت بالانتها، فيكون القسم به على بابه، لأنه لا يقسم على الحق بغير صفات قدس جنابه، ويصح القسم عليه تعالى بحبيبه الأعظم على قول بعض من ارتقى وقدم، ويقال جوابًا لمن منع «أقسم»: المراد التوسل وإذا أردت أن تدرك من تحقيق هذا المبحث مناك فراجع «الروضات العرشية» تجده هناك.

[يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا ظَاهِرُ يَا بَاطِنُ: اسْمَعْ نِدَائِي بِمَا سَمِعْت بِهِ نِدَاءَ عَبْدِك زَكَرِيَّا، وَانْصُرْنِي بِكَ لَكَ، وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ (ثلاثًا).

اللهُ اللهُ اللهُ

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (ثلاثًا)].

(يَا أَوَّلُ) فلا أول لأوليته (يَا آخِرُ) فلا آخر لآخريته (يَا ظَاهِرُ) فلا يخفى من حيث ما إلينا منه (يَا بَاطِنُ) لا يدرك من حيث الذات والكنه (اسْمَعْ) أي: وتقبل واستجب (نِدَائِي) فإنك السميع القريب المجيب (بِمَا) أي: بالسر الذي (سَمِعْت) أي: قبلت واستجبت (بِهِ) الضمير راجع للسر (نِدَاءَ) ابتهال وتضرع (عَبْدِك) المضاف إليك إضافة تشريف وتخصيص وتقريب وتنصيص (زَكَرِيَّا) عليه الصلاة والسلام ابن برخيًا من ولد سليمان بن داود- عليهم الصلاة والسلام- وقيل: زكريا ابن أدن، فعرض المؤلف ﷺ بطلب الوارث الكامل ليكون

(١) قال ابن عجيبة ﷺ: فتكون عوالمي كلها منحصرة في الحقيقة المحمدية، وهي القبضة الجبروتية، أو المظهر الجبروتي، مع النظر إلى الجبروت الأصلي، (ص١٧٢).

لمقامه حافظًا وحارسًا لأسراره حاملاً، فرزق الذرية الصالحة من طلبه والأخرى الناجحة الفالحة من ولد قلبه، (وَانْصُرْنِي) أي: بمددك الأشمل (بِكَ لَكَ) أي: لنصرة دينك الأكمل مع الفتح التام والمغفرة لجميع الآثام، وهذا هو النصر العزيز الصادر من حضرة اسمه «المهيمن» و«العزيز»، (وَأَيِّدَنِي) أي: قوني وسددني (بِكَ) أي: بطولك وحولك (لَكَ) أي: لأجل تسكين جأش من هد أركانه عظيم سطوة هولك، لأكون وارثًا كاملاً محمديًا وهاديًا إلى صراط السبيل الاعتدالي مهديًا، (وَاجْمَعْ)[1] يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه (بَيْنِي وَبَيْنَكَ) في مقعد صدق عنديتك، لأوافيه وحقه أوفيه، فأفوز بجمعية ظاهري وباطني عليك بمدد يرفع كشف أستاري ويوفقني دائمًا بين يديك، وأحظى بالأمان والأماني والعطا الكاشف للغطا النفساني، فإن من حصلت له حصل له كل شيء، ومن فته فاته كل شيء (وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ: ثَلَاثًا) حتى لا أرى الأغيار بترادف الأنوار، وأغيب بشهود بديع الجمال الرفيع المنار، عن ذوائب العلا وغرائب الملا والخلا الموجبة لردية الأستار لتكون سماوات روحانيتي صاحية، وشموس حقائقي ورقائقي ضاحية، ويفتح لي باب الارتقاء إلى منازل اللقاء والبقاء ويجمع الشمل المشتت بالأحباب، ويزول التلهف بالوصل والشك والارتياب.

ولما سمع المؤلف قول الحق جل ثناؤه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٢١]، قال (اللهُ)، ثم نادته حقائق ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الجمعة:١٠]، فقال (اللهُ) ثم هتفت به هواتف ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٣]، فقال (اللهُ اللهُ اللهُ) فالمبتدئ إذا قال «اللهُ» «يلاحظ» لا معبود سواه«، والمتوسط لا مقصود إلا إياه، والمنتهي «لا مشهود ولا موجود إلا قدس علاه»، فالصادق إذا قال بخالص الطوية «اللهُ» انفتح له باب من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فيخلص بهذا العروج والولوج من الغيب إلى غيبه وفتق مرثوق جيبه، وإذا قال ثالثًا «اللهُ» فتح له باب إلى غيب غيب الغيب المقدس، واستقام بناؤه الذي على حضور الحضور في خضرة النور مؤسس.

ثم إن المؤلف -رحمه الله تعالى- آشار بآية (﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾) [القصص:٨٥]، إن الرجوع إلى الخلق لا يكون إلا بعناية من الحق، كما أن السير إليه لا يكون إلا بالجذبات التي تدني الطالب وتبقيه في ترقيه لديه، وكل من رجع

---

(١) قال ابن عجيبة ﷺ: أي طلب دوامه واتصاله، وإلا فالجمع حاصلٌ له.

بحظ نفساني فهو هادم لما له باني ولهذا ختم بآية ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠])[1] فإن غيرك لا يقدر على ذلك أبدًا، بل أنت القادر لا سواك الفياض على العباد سرمدًا، فنسألك اللهم بحبيبك الذي منحتنا به الاهتداء، وسائر إخوانه من النبيين والمرسلين أئمة الاقتداء، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والسعداء والشهداء أن تمن علينا بالقرب المنجي من الردى، والشرب الموصل للانغماس في بحار الندى، وأن لا تشمت بنا العدا، وأن تجعلنا ممن اهتدى وهدى.

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما حاد حدا، وعلى أتباعه وأحزابه ما صباح فلاح بدا، والحمد لله رب العالمين ختمًا وابتداء.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) قال ابن عجيبة ﷺ: ﴿من لدنك﴾: أي من مستبطن أمورك؛ لأن لدن، تدل على الاتصال والقرب أكثر من عند، أي هب لنا من خزائن فضلك.